

١٩٦٩/١/٢٠

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

فى افتتاح مجلس الأمة الجديد

■ أيتها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

نهنيئ مجلسكم الموقر، وأعتقد أنه سيكون عند حسن ظن جماهير قوى الشعب العاملة به، وأثق أنه سوف يقوم بالدور الفعال المنتظر منه فى ظرف من ظروف النضال الوطنى، يفرض على أى مواطن منا أن يقدم كل ما عنده وأفضل ما عنده، فكرياً وجهداً وإيماناً وتضحية.

أيتها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة أتيح لى فيها شرف الحديث من هذا المكان، ومع أن هذا الوقت فى حساب الأيام يقل عن أربعة عشر شهراً، فإنه فى حساب الأحداث أبعد من ذلك بكثير، إن بعض الأحداث بعمقها تأخذ من الحياة ما هو أكبر من مجرد حساب الأيام، ومنذ الوقت الذى كان لى فيه شرف الحديث هنا، يوم ٢٣ نوفمبر من سنة ١٩٦٧ إلى هذا اليوم، ٢٠ يناير سنة ١٩٦٩، جرت الحوادث متتابعة متزايدة، خطيرة وبعيدة الأثر.

إن تلك الفترة كانت من أصعب الفترات فى تاريخنا، ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الفترة كانت أصعب من أيام الهزيمة نفسها فى يونيو سنة ١٩٦٧؛ سواء من الناحية العملية أو النفسية. من الناحية العملية فإن أى بناء يمكن أن يتهدم

بالانفجار فى لحظة واحدة، ولكن إعادة البناء بعد ذلك لا يمكن إتمامها فى لحظة واحدة، وعندما وقعت الهزيمة العسكرية سريعة خاطفة، فلقد وجدنا أنفسنا أمامها بعد ستة أيام نواجه أمراً واقعاً، لكن تغيير هذا الأمر الواقع بعد ذلك مما لا يمكن تحقيقه فى ستة أيام أو ستة شهور.. يتهدم البناء بضربة واحدة، لكن إعادة بنائه تتم حجراً بعد حجر، وتقع الواقعة المفاجئة فى مثل لمح البصر، ولكن تغيير واقعها يحتاج من العمل والصبر إلى طاقة لا يملكها غير المؤمنين بقضاء الله والوائقين فى عدالته.. هذا من الناحية العملية.

ومن الناحية النفسية فإنكم لتعلمون أن من يصاب بطلقة رصاص ينتابه فى ذات اللحظة نوع من الصدمة النفسية، يفقد معها حتى الإحساس بالألم، لكنه بعد أن تزول آثار الصدمة تبدأ الآلام الحقيقية فى الجسم وفى النفس معاً؛ ولقد كانت نكسة يونيو من سنة ١٩٦٧ ضربة شديدة، وكان تأثير صدمتها النفسية ممتداً، وحين انقضى الشعور بالصدمة فإن أحاسيسنا بعد ذلك كانت مما لا يمكن وصفه.

إن أمتنا العظيمة بإيمانها وبصلابتها رفضت الاستسلام فى نفس لحظة الإصابة، وقبل أن ينتابها الشعور بالصدمة، وحين انتهت مرحلة معاناة الصدمة النفسية فإن أمتنا عادت إلى نفسها، وبدأت تستشعر عمق جراحاتها وآلام هذه الجراح. كان هناك الشعور بالعار حتى الأعماق، وكان هناك استمرار الرفض للاستسلام، وكان قبل مشاعر الصدمة صادراً من القلب، لكنه بعد زوال آثارها أصبح صادراً من العقل أيضاً. وكان على أمتنا أن تتغلب على انفعالاتها.. كان على الانفعالات - مهما كانت طبيعية وإنسانية - أن تتوارى وأن تفسح الطريق للعقل، ليبدأ من جديد ويبدأ من الصفر ويمشى بسرعة ويمشى بحكمة؛ يعيد بناء القوة تحت ظلال الخطر، ويعيد بناء الحياة فى ساحة بدا أن سيطرة الموت عليها قدر لا سبيل إلى نقضه. وتلك تجربة بالغلة القسوة فى حياة الإنسان، وفى حياة الأمة.. مواجهة الشعور بالعار والتغلب عليه.. مواجهة

اهتزاز الثقة بالنفس واستعادة القدرة عليها.. مواجهة الضياع والإمساك بالأمل مرة أخرى وتحمل مسئولياته الجسام.

هذا جانب - أيها الإخوة - من صعوبة تلك الفترة. وجانب آخر منها هو التناقض الذى يقوم فى مثل هذه الحالة - ويجب أن يقوم - بين الأولويات وبين الاعتبارات التى تختلف بل وتتصادم مقتضياتها، وعلى سبيل المثال: فلقد تكشف أماننا بوضوح أن الجبهة العسكرية القوية التى يقف عليها جيشنا فى مواجهة العدو لا يمكن أن يكون لها سند إلا جبهة داخلية يقف عليها شعبنا كله متماسكاً ومتحداً.. عاملاً كما لم يعمل فى حياته.. صانعاً ومنتجاً بأكثر مما كان فى أى وقت مضى. وفى هذه الناحية فلقد كان التناقض الخطير الذى واجهناه؛ هو أنه بينما الجبهة الداخلية تحتاج إلى تغييرات واسعة المدى، فإن هناك فى نفس الوقت وبحكم ظروف المعركة حدوداً للتغيير، لا تصد حركته وإنما تنظمها، لا توقف جريانه وإنما تخطط له وتوقت لخطاه. وكانت تلك معاناة مرهقة؛ لأنه كان وضعاً يتطلب الوضوح الفكرى فى وقت اشتدت فيه البلبلة الفكرية، ويتطلب الثقة فى وقت اهتزت فيه دعائم الثقة، ويتطلب الصبر فى وقت نفذ فيه الصبر أو كاد ينفذ، ولقد ساعدت على تلك المعاناة عوامل متعددة منها مثلاً: أننا لم نكن نقاتل فى الميدان فعلاً.

إن هناك شعوباً غيرنا تعرضت لأخطر مما تعرضنا له؛ وصلت جيوش ألمانيا النازية فى غزوها للاتحاد السوفيتى إلى مشارف موسكو، ووصلت المعركة ضد بريطانيا سنة ١٩٤٠ و ١٩٤١ إلى حد أن الحكومة هناك قررت ترحيل الأطفال إلى كندا؛ لكى يظل هناك وجود للجنس البريطانى ولا يباد فى المعركة حتى آخره، وفى الاتحاد السوفيتى، وفى بريطانيا.. وبرغم النازلة الشديدة فإن الأمور كانت من الناحية النفسية أفضل مما كانت لدينا نحن فى تلك الفترة، برغم أن خسائرننا هنا لا تقارن بخسائرنهم هناك، وكان السبب هو استمرار القتال. لو أن القتال كان مستمراً لطغت مشاعر المعركة على كل شىء غيرها، لكنه فى حالتنا توقف القتال، ولم يكن هناك بد من توقفه؛ لأنه كان من

الجنون أن نقاتل حين لم يعد فى أيدينا ما نقاتل به، وحين أصبحت سماؤنا كلها مكشوفة للعدو، وأهدافنا الحيوية كلها تحت رحمته بغير مقدرة منا، لا على الردع ولكن على مجرد الدفاع عن النفس.

ومن العوامل التى ساعدت على المعاناة أيضاً أننا لم نكن نتكلم كثيراً، وفيما يتعلق بى فلعلكم - أيها الإخوة - تلاحظون أننا كنت فى كثير من الظروف عزوفاً عن الكلام، ولقد كان أسهل الأشياء أن أخرج، وأن أطوف البلاد كلها من شمالها إلى جنوبها وأتكلم، لكنه يجب أن نلاحظ أمرين:

الأمر الأول: أن شعبنا وأمتنا لم يعد يريد الحياة بالكلمات، ولقد كنت أشعر - ومن المؤكد أن ذلك كان شعور كل فرد فى أمتنا - بصدق الحكمة المأثورة: "لا تقل لى شيئاً ولكن دعنى أرى".

إن أمتنا كان لها الحق أن تنتظر عملاً ولا تنتظر قولاً، وكان الدليل على ذلك أنه فى المرات التى اشتبكت فيها قواتنا المسلحة مع العدو - خلال ما عرف بمعارك المدافع - فى سبتمبر الماضى، فإن الأمة العربية كلها أصغت السمع بانتباه، معتبرة بحق أن صوت المدافع وحدها هو الصوت الذى يجب أن يواجه التحدى.

والأمر الثانى: أن التجربة العملية أثبتت أنه لا قيمة لأية أقوال، إذا لم تكن كلماتها مقياساً حقيقياً للقدرة الفعلية، ولقد قلنا كثيراً فى الماضى، وكنا نتصور أن هناك توازناً بين الكلمة وبين القدرة، لكن التجربة علمتنا أن ذلك لم يكن صحيحاً كما تصورنا، ولا ينبغى لنا أن نكرر الخطأ مرة أخرى بصرف النظر عن المسؤولية فيه.

إننا الآن يجب أن نلزم أنفسنا، مهما كانت المعاناة، بأن يكون حساب الكلمات هو نفسه حساب القدرات، بل وليس يضيرنا أن تكون كلماتنا أقل من قدراتنا، فذلك أكثر أماناً من أن يقع العكس، وليس عدونا بعيداً، وليس عدونا جاهلاً، ولن يكون لكلماتنا وزن إذا لم يتحقق من قدرتنا على تدعيمها، وإلا فإننا

نعطيه الفرصة لكي يسخر منا، بينما نحن نخدع أنفسنا ونسئ إلى أمة حافظت - برغم الكرب والعذاب - على إيمانها ومنحت من ثقتها ما هو لازم لتصحيح الميزان.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن تلك الفترة برغم كل مصاعبها العملية والنفسية فترة تحقيق أكيد على كل الجبهات التي كان محتماً أن تتحرك عليها جهودنا، وفي مقدمتها الجبهة العسكرية التي أعتبرها جبهة المجهود الرئيسى لشعبنا فى المعركة المصيرية، التي يخوض غمارها الآن ضد العدو الصهيونى المؤيد بقوى الاستعمار.

إن الأولوية الأولى، والأولوية المطلقة فى هذه المعركة هى الجبهة العسكرية؛ إذ لا بد أن ندرك أن العدو لن يتراجع إلا إذا أرغمناه على التراجع بالقتال، بل إنه لا أمل فى أى حل سياسى، إلا إذا أدرك العدو أنه فى مقدورنا إرغامه على التراجع بالقتال؛ أى إنه بالنسبة للعمل العسكرى أو بالنسبة للعمل السياسى، لا يمكن أن يتحقق أى تقدم إلا إذا كانت نقطة انطلاق هذا التقدم هى الجبهة العسكرية، وأريدكم أن تعرفوا أن الجبهة العسكرية يجب أن تكون شاغلنا الأول، وأى شئ غيرها قابل للانتظار. ولأنى أعرف أنكم تشاركوننى هذا الرأى، فلقد طلبت إلى وزير الحربية - الفريق أول محمد فوزى - أن يكون أول مسئول يتحدث بعدى أمام مجلسكم الموقر، وليكن ذلك فى جلسة سرية، نرجو أن تفضل رئاسة المجلس بالدعوة إليها؛ حتى نتاح لكم فرصة الاستماع إلى تقرير منه عن الموقف العسكرى، ولست أريد أن استبق تقريره إليكم، ولكنى أريد أن أضع أمامكم الحقائق التالية:

أولاً: إن عملنا السياسى فى الجزء الأكبر منه فى الفترة الماضية ركز على تدعيم القوات المسلحة، ولابد أن أشيد هنا بالتعاون الصادق والمخلص الذى لقيه هذا العمل من جانب الاتحاد السوفيتى، وفى الحقيقة فإن واجب الأمانة يدعونى إلى القول أمامكم بأنه لولا هذا التعاون، ل بقيت كل خططنا للمستقبل مجرد أمان عاجزة عن الوفاء.

ثانياً: إن القوات المسلحة، وإنى لأتحدث فى هذا عن مشاهدة شخصية وعن رؤية عين، أصبحت الآن فى وضع لا يمكن أن يقارن بما كانت عليه قبل معارك يونيو ١٩٦٧ وليس بعدها فقط، ولقد بذل الأبطال من رجال القوات المسلحة من الجهد والعلم، ما أؤمن أنه يجعلهم على مستوى ثقة الأمة بهم وعلى مستوى آمالها الكبار.

ثالثاً: إننى أقرب ما أكون إلى عمل قيادة قواتنا المسلحة، ونقتى بهذه القيادة كاملة، وأعتقد أن هذه القيادة على مستوى المسؤولية.

رابعاً: إنكم سوف ترون - مما سيعرض عليكم من طلبات الاعتمادات سواء عند نظر ميزانية الدولة القادمة أو قبلها وبعدها - أن اعتمادات القوات المسلحة قد طرأت عليها زيادات كبيرة، وأثق أنكم لن تترددوا فى الموافقة، فليس هناك مال يساوى استعادة شرف الوطن وبقعة من أرضه، يذنسها وجود الأعداء.

خامساً: إن عملاً كبيراً قد تم من أجل زيادة كفاءة الدفاع عن المنشآت الحيوية داخل الوطن، وقد شاركت القوات المسلحة والجيش الشعبى فى تحمل هذه المسؤولية، التى تكتسب أهمية خاصة بالنسبة لحجم المنجزات، التى استطاع هذا الشعب المصرى بناءها خلال عملية التطوير الشامل، التى تحمل ويتحمل بأعبائها الجسام وآمالها العظمى.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن الكلام عن الدفاع سوف يقودنا إلى العمل العربى المشترك الذى يبذل؛ كى يواجه معركة المصير المشترك التى تخوض غمارها الآن أمتنا العربية، وهناك ناحية سياسية فى هذا العمل العربى المشترك، كما أن هناك ناحية عسكرية. ومن الناحية السياسية وبواجب الأمانة أمام أمتنا، فإنه من المحتم على أن أقول إنه كان فى إمكان العمل العربى المشترك من الناحية السياسية أن يقوم بأكثر مما قام به، وأن يقدم لمعركة المصير إسهاماً أوفى مما قدمه فعلاً. إن

العمل العربى السياسى كان - بغير شك - أقل مما قدرناه، لكنى أستطرد لواجب الصدق بعد واجب الأمانة فأقول: إن هذا العمل أكثر مما قدر الذين دأبوا على التشكيك فى صحة إيمان الأمة العربية بوحدتها، وبنضالها الواحد، ومستقبلها الواحد.

إن اتفاقية الدعم العربى قائمة، وهى تؤدى دورها المرسوم لها بإسهام المملكة العربية السعودية والكويت والمملكة الليبية المتحدة فيها ... هذه الاتفاقية ما تزال أبرز ما استطاع العمل العربى المشترك تحقيقه لتعزيز الموقف؛ موقف الصمود. كذلك فإن المشاورات والاتصالات دائمة بين العواصم العربية، لكن الأمر - خصوصاً مع احتمالات المرحلة القادمة - يقتضى فى رأينا تعاوناً أوثق وأوثق. لقد كرر عدد من رؤساء الدول العربية النداء إلى عقد مؤتمر قمة عربى جديد، وزاد النداء إلحاحاً فى أعقاب العدوان الإجرامى ضد مطار بيروت، ونحن نعتقد أنه قد يجىء وقت قريب، يصبح فيه عقد مثل هذا المؤتمر ضرورة عاجلة.

أما من الناحية العسكرية فلقد بذلنا - ولازلنا نبذل - كل الجهود من أجل دعم وزيادة فعالية جبهة المواجهة الشرقية مع العدو، وهى الجبهة التى تشترك فيها قوات العراق وسوريا والأردن؛ لكى تؤدى دورها بالتعاون مع الجبهة المصرية، التى نتشرف بأن تجد فى خطوطها قوات من الجزائر والسودان والكويت.

إن الجبهة الشرقية - التى يتلاقى عليها عمل هذه القوات العربية الباسلة - ذات أهمية استراتيجية لا تعوض، فضلاً عن أن الوصول بها إلى حد التأهب المرجو سوف يعطى لقوى أخرى من قوى النضال العربى نوعاً من الحماية المباشرة والمساندة السريعة.

وما دمت أحدثت عن قوى النضال العربى، فلا بد لى أن أقف بكم - أيها الإخوة - أمام العمل الرائع الذى تقوم به قوات المقاومة الفلسطينية، إن نمو

منظمات المقاومة الفلسطينية وتعاضد دورها وتساعد عملياتها تبعاً لذلك من أبرز ظواهر مرحلة ما بعد يونيو سنة ١٩٦٧. إن هذه المنظمات رفعت شعلة الضياء في وقت حافل بعوامل اليأس والظلام، ولقد أبرزت حقيقة وجود الكيان الفلسطيني في ظرف كان العدو يتصور فيه أنه قضى على كل ذكر لفلسطين، كما أن هذه المنظمات تقوم بدور إيجابي في استنزاف جزء من طاقة العدو ودمه.

وأود - أيها الإخوة - باسمكم أن أوجه تحية الإعجاب والتقدير من هنا إلى منظمات المقاومة الأربعة الكبيرة؛ فتح والجبهة الشعبية ومنظمة التحرير ومنظمة سيناء العربية.

وإذا كان من آمال الأمة العربية أن تلتقى منظمات المقاومة في إطار واحد.. فإنه من المحتم أن يكون واضحاً أن أى تحرك نحو هذا الهدف، يجب أن يتم من خلال العمل السياسى الفلسطينى، وبتوجيه الشعب الفلسطينى نفسه.

إن الإرادة الفلسطينية يجب أن تترك بغير اعتراض، ويجب أن تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها، ولا ينبغي أن تكون هناك وصاية على تصرفاتها.

ولقد اتخذت الجمهورية العربية المتحدة خطأ ثابتاً في هذه المسألة منذ بدأ الدور البطولى لمنظمات المقاومة الفلسطينية، ومن هذا الخط الثابت... فإن الجمهورية العربية المتحدة تضع تحت تصرف هذه المنظمات كل إمكانياتها بغير قيد أو شرط، ومن هذا الخط الثابت.. فإن الجمهورية العربية المتحدة قدرت موقف منظمات المقاومة الفلسطينية في رفضها لقرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧، الذى قبلت به الجمهورية العربية المتحدة نفسها، ولقد كان من حق منظمات المقاومة الفلسطينية أن ترفض هذا القرار؛ إن هذا القرار قد يكون كافياً لمواجهة إزالة آثار العدوان الذى تم في يونيو سنة ١٩٦٧، لكن هذا القرار ليس كافياً بالنسبة للمصير الفلسطينى، ونحن نرفض كل تفسير لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يحصرها في إطار الإحسان والشعور الإنسانى، إن

قضية اللاجئين ليست على هذا المستوى وحده، ولن تكون كذلك، فهي قضية شعب وقضية وطن.

وفى صدد الحديث عن منظمات المقاومة، فلا بد من الإشارة بصفة خاصة إلى النجاح البارز الذى تحققه حركة فتح فى مجال التوجه إلى رأى العام العالمى، وفى الوقت الذى حاولت فيه الصهيونية أن تصور عمل المقاومة على أنه مجرد أعمال تخريب، فإن الجهد السياسى لفتح ينجح فى وضع صورتها الصحيحة أمام رأى العام العالمى، وصورتها الصحيحة أنها حركة تحرير وطنى.

ولقد كان مما أعطى لنضال منظمات المقاومة جميعها بعدها الصحيح، تلك المواقف الخالدة التى سجلتها جماهير الشعب الفلسطينى؛ الصابرة، الصامدة، الشجاعة، المؤمنة، فى الضفة الغربية وفى القدس وفى غزة، حيث يقاوم الإنسان الفلسطينى ببسالة نادرة، ويرفض الاحتلال، ويؤكد كيانه الذاتى وشخصيته المستقلة.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إن عملنا السياسى فى المجال الدولى قد اضطلع بمسؤوليات جسام، ولقد قبلنا قرار مجلس الأمن سنة ١٩٦٧ - برغم أسباب القصور فيه - عن اعتقاد بأنه إذا كانت هناك وسيلة سياسية لإزالة آثار العدوان، فإن هذه الوسيلة يجب أن تأخذ حقها كاملاً. ولقد كررت - وأكرر - أننا لسنا دعاء حرب وإنما نحن دعاء سلام، ونحن لم نغتصب أرضاً لأحد، ولكن أرضنا هى التى تعرضت للاغتصاب، ونحن لن نبدأ بالعدوان ضد أحد، ولكن العدوان - فى كل مرة تحرك فيها العدوان - كان متجهاً إلينا.

وفضلاً عن إيماننا الذاتى بالسلام القائم على العدل، فلقد كنا ولا نزال حريصين على أن يرى العالم صورة كاملة، لا تحجبها عنه الدعايات المغرضة،

ولا فنون التأثير النفسى المتعددة الظلال، ولقد حددنا موقفنا فى نقطتين اثنتين؛ أننا لا نسلم فى أرض عربية، ثم أننا لن نجلس مهما كان مع عدو يحتل أرضنا.

ولقد أصبح موقفنا واضحاً أمام العالم، يشير إليه سجل تعاوننا المخلص مع السفير "جونار يارنج" مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة، المكلف بتنفيذ قرار مجلس الأمن.

ولقد كان من أثر هذا الموقف أن حدثت تحولات واسعة المدى دعمت موقف القوى المعادية للاستعمار، والساعية للسلام، والحريصة على الاستقلال الوطنى لكل الشعوب، والراغبة عن صدق فى نظام جديد للعلاقات الدولية، لا يقوم على دعاوى السيطرة وعمليات الإرهاب والتشهير.

إن موقف الاتحاد السوفيتى معنا لا يحتاج منى إلى ثناء جديد عليه؛ ذلك أن هذا البلد العظيم قدم فى مجال التعاون معنا ما لا يمكن تقديره، ولقد قمت فى شهر يوليو الماضى بزيارة لموسكو، اجتمعت خلالها مراراً مع الأصدقاء الأعزاء "ليونيد برجنيف" و"إيكسى كوسيجين" و"نيكولاى بوجدورنى" وكانت هذه الزيارة اختباراً جديداً وناجحاً لمتانة العلاقات العربية - السوفيتية.

كذلك فإن موقف فرنسا تحت قيادة ذلك الوطنى الفرنسى العظيم "شارل ديغول"، الذى يعتبر من أبرز شخصيات العصر، قد شهد تحولاً ضخماً لصالح العدل والسلام، عبر عن نفسه عملياً بقرار الحظر الشامل على تصدير السلاح لإسرائيل.

ولقد سجلت تطورات الحوادث مواقف مشرفة لعدد من الدول فى كل القارات.

إن دول المجموعة الاشتراكية، وأذكر منها بالتحديد ألمانيا الديمقراطية وبولندا وبلغاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، مازالت ترفض إعادة العلاقات بينها وبين إسرائيل، وتقدم فى سبيل التعاون معنا قصارى جهودها.

ودول عدم الانحياز، وفي المقدمة منها يوغسلافيا تحت قيادة المناضل العظيم "تيتو"، والهند تحت قيادة رئيسة وزرائها المقندرة "أنديرا غاندي"، تقوم بأوسع الجهود لدعم احتمالات السلام القائم على العدل.

ولقد أتيح للدول الإفريقية في مؤتمر الجزائر أن تطلع على حقيقة الموقف، وكان قرارها الواضح بشجب العدوان الإسرائيلي الاستعماري.

كما أن الدول الإسلامية، ومن نماذجها المشرفة باكستان وموريتانيا، كانت لها مواقفها الواضحة الطيبة.

وذلك كله دعم عالمي لا يستهان بقوته المادية والمعنوية، وهو رصيد طائل يضاف إلى إمكانيات نضالنا القومي، وهو نضال تقع علينا نحن - بالدرجة الأولى - كل تبعاته وتضحياته؛ ذلك أن الأرض في النهاية أرضنا، والمصير قبل أي شيء مصيرنا، وليس هناك بديل عن تحرير الأرض وعن حماية المصير، مهما كانت المخاطر ومهما ارتفعت تكاليفها.

وهنا - أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة - فإني أريد أن يسمع العالم كله - الصديق فيه والعدو.. القريب منه والبعيد - صوتنا ويفهم موقفنا ويحسن تقديره ويترجمه بدقة؛ إننا لن نسلم في شبر من أرض عربية.. إن قلوبنا لن تضعف ولن تتردد أمام أي إرهاب، مهما شطت به حماقة القوة أو جنونها.. إننا سوف نقاتل دفاعاً عن كل ذرة رمل في صحارينا، وعن كل عود خضرة على سهولنا وودياننا وعلى ربانا الغالية العزيزة.

إن شرف الأرض العربية، وشرف الإنسان العربي، وشرف الحياة العربية كلها الآن معلقة في الميزان، ونحن على استعداد لأن نعطي من حجم العمل ومن حجم الدم ما هو لازم لترجيح كفة الحق والخير والسلام.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

أنتقل بعد ذلك إلى الجبهة الداخلية، وهي - كما اتفقنا - سند الجبهة العسكرية وقاعدتها الوطيدة.. إن المرحلة الماضية منذ كانت لي آخر فرصة

للحديث في هذا المكان جرت كلها تحت شعار التغيير، وكان ذلك لازماً لأكثر من سبب، بينها أن نصصح نواقص فينا، كانت من الأسباب المباشرة وغير المباشرة للنكسة، وبينها أن تمضي خطانا نحو المستقبل القريب ونور المستقبل البعيد يلوح وراءه، وبينها أن يتمكن كل فرد منا أن يعطي لوطنه خير ما فيه، وأوقات الأزمات والمحن بالنسبة للشعوب العريقة أول ما يستثير في المواطن كوامن قوته.

ولقد صدر بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ معبراً عن إرادة التغيير في شعب مؤمن مصمم وقادر، ولقد رسم هذا البيان للتغيير أبعاداً أقرتها الجماهير بأغلبية ساحقة في استفتاء شعبي حر جرى يوم ٢ مايو سنة ١٩٦٨، ولقد كانت هناك أهداف عاجلة يقصد التغيير إليها، وأبرزها ثلاثة: إعادة البناء العسكري، وإعادة البناء السياسي، وإعادة البناء الاقتصادي.

هذه الأهداف الثلاثة كانت لها أولوية طبيعية؛ لاتصالها المباشر بمعركة المصير التي يواجهها شعبنا وتواجهها أمتنا العربية كلها؛ أما عملية إعادة البناء العسكري فلقد حدثتكم عنها، كما أنكم سوف تسمعون من أمرها المزيد، وأما عملية إعادة البناء السياسي فلعل اجتماع مجلسكم الموقر اليوم رمز من رموزها، فلقد سبقت قبله انتخابات بين قواعد الاتحاد الاشتراكي، انتهت بالمؤتمر القومي الأول للاتحاد الاشتراكي الذي اجتمع فيما بين ٢٣ يوليو و ٢١ سبتمبر من العام الماضي، واتخذ - على ضوء بيان ٣٠ مارس وعلى هديه - مقررات بالغة الأهمية في مجرى نضالنا الراهن، وانتخب المؤتمر القومي لجنته المركزية التي انتخبت رئاستها الممثلة في اللجنة التنفيذية العليا، ثم حل الدور لكي يجيء بالانتخاب هذا المجلس الذي يعقد جلسته الافتتاحية اليوم.

إن هذا التحرك السياسي الواسع كله قد تم تحت ظروف المعركة، ومن حسن الحظ أن وعى جماهيرنا من قوى الشعب العاملة قد جعل من هذا التحرك السياسي الواسع تحركاً في نفس الوقت نحو المعركة، إن هذا التحرك السياسي الواسع لم يكن على حساب المعركة، وإنما كان لحساب المعركة، ولربما كان

من العلامات التي تشير إلى ذلك أننا الآن مع مجلس نيابي، يتمنى كل عضو فيه - برغم كل ما بذل في الانتخابات - ألا تطول إقامته على مقعده في هذه القاعة، إن كل عضو منكم يتمنى - من قلبه - لو أن مبرر وجود هذا المجلس ينتهي غداً، ذلك أن مدة هذا المجلس لا ترتبط بالنص الدستوري لعمل أى مجلس أمة سبقة، وإنما هي ترتبط بإزالة آثار العدوان، ومن ثم يوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة ويجرى الاستفتاء الشعبى عليه، ثم تكون انتخابات جديدة على أساسه لمواجهة مرحلة من نضالنا.. رحبة واسعة الآفاق مشرقة بضياء الآمال المتجددة والمشعة.

أيها الإخوة أعضاء مجلس الأمة:

لقد شهدت عملية إعادة التنظيم الاقتصادى - وسوف تشهد - جهوداً متصلة، وتزداد قيمة هذه الجهود وكفاءتها، عندما نتصور أنها كانت جميعاً محكومة بظروف المعركة.

في مجال الصناعة مثلاً أعرض ما يلى فى الإنتاج الصناعى؛ إن الإنتاج الصناعى الذى قفز قفزات قوية وسريعة فى السنوات العشر الأخيرة، واصل تطوره برغم ظروف النكسة، بل إنه نتيجة لما بذل من جهود حقق فى سنة ٦٨/٦٧ وما تلاها معدلات فى النمو عوضت الجمود الذى تعرض له فى سنة ٦٦/٦٦، وهى السنة التى لم تتحقق فيها أى زيادة عن سنة ٦٦/٦٥ طبقاً لنتائج المتابعة التى قامت بها وزارة التخطيط. وقد تبين من متابعة الإنتاج الصناعى فى سنة ٦٨/٦٧ والنصف الأول من ٦٩/٦٨ فى شركات المؤسسات العامة الصناعية والقطاع الخاص ما يلى:

أن الزيادة التى تحققت فى ٦٨/٦٧، وهى السنة التى أعقبت النكسة عن سنة ٦٧/٦٦ قد بلغت نسبتها ٨%، ولولا ظروف البترول فى تلك السنة بالذات لبلغت نسبة الزيادة ١١%.

إن الزيادة التي تحققت في النصف الأول من ٦٨/٦٩ بالمقارنة بالنصف الأول من ٦٧/٦٨ قد بلغت نسبتها ١٣,٦%؛ الأمر الذي يدل على أن خطة الإنتاج الصناعي في ٦٨/٦٩، والتي تستهدف تحقيق معدل نمو قدره ١٣% عن السنة الماضية، ستتحقق بالكامل.

البترو، ونتيجة للدفعة القوية والسريعة في الكشف عن البترو، وزيادة الإنتاج منه، تحققت زيادة كبيرة في معدل الإنتاج، ففي أعقاب النكسة مباشرة كان معدل إنتاجنا من البترو حوالي ٢,٥ مليون طن سنوياً، وأمكننا في الفترة الأخيرة أن نرتفع بهذا المعدل إلى ما يعادل ١٢ مليون طن سنوياً وهو المعدل اليومي للإنتاج الحالي، ونتيجة للاكتشافات المتوالية في حقول جديدة يستلزم الإنتاج فيها بعض الوقت، فقد وضعت خطة بحيث يصل معدل إنتاجنا من البترو في آخر العام القادم إلى ما يعادل ٢٥ مليون طن سنوياً، وبطبيعة الحال فإن أي اكتشافات أخرى جديدة ستزيد من هذه التقديرات؛ مما يبشر بأننا في سنوات قليلة نأمل أن يتضاعف هذا الرقم أيضاً.

الصادرات الصناعية، في الوقت الذي تحققت فيه هذه الزيادة في الإنتاج، بذلت جهود كبيرة لزيادة الصادرات الصناعية، وفعلاً نجحنا في أن نرتفع بالصادرات الصناعية - بدون البترو - من ٦٥,٨ مليون جنيه في سنة ٦٦/٦٧ إلى ٨٠,٣ مليون جنيه سنة ٦٨/٦٧ - في أعقاب النكسة - إلى ٩٨,٢ مليون جنيه في سنة ٦٩/٦٨، ولو أضفنا الصادرات البترولية فإنه رغم فقدان حقول سيناء، فإن الصادرات الصناعية والبترو قد ارتفعت من ٨٢,١ مليون جنيه في ٦٦/٦٧ إلى ٨٧,٤ مليون جنيه في ٦٨/٦٧ ثم إلى ١١١,٦ مليون جنيه في ٦٩/٦٨.

وتؤكد نتائج المتابعة لما تم تنفيذه في النصف الأول من ٦٩/٦٨ أن خطة التصدير ستتحقق بالكامل؛ حيث زادت الصادرات في تلك الفترة بنسبة ٢٧,٥% من صادرات الفترة المماثلة.

ولم تؤد تلك الصادرات الصناعية المتزايدة إلى تغطية أعباء احتياجات الصناعة من مستلزمات الإنتاج المستوردة فحسب، بل انعكست على ميزان المدفوعات في شكل فائض من النقد الأجنبي، يساهم به قطاع الصناعة في تمويل غيره من القطاعات يبلغ ٧ ملايين جنيه، وسيزداد في السنوات القادمة.

وهذه أول مرة يتحقق فيها هذا الفائض؛ حيث كانت الواردات من مستلزمات الإنتاج وقطع الغيار تزيد في السنوات السابقة عن الصادرات الصناعية؛ الأمر الذي انعكس على ميزان المدفوعات في صورة عجز بلغ ٢٣,٧ مليون جنيه في سنة ٦٦/٦٧ و ٢٥,٢ مليون جنيه في سنة ٦٧/٦٨؛ نظراً لظروف البترول في تلك السنة، والتي لم يعوضها الفائض في الصادرات الصناعية الأخرى، أما في هذا العام.. فقد تحقق لأول مرة هذا الفائض من النقد الأجنبي وقدره ٧ ملايين جنيه، وتشير الدلائل إلى أن هذا الفائض سيتضاعف في السنوات المقبلة؛ نتيجة الدفعة القوية والسريعة في الكشف عن البترول وزيادة معدل إنتاجه.

وفي مجال الزراعة أعرض ما يلي:

لقد حققت الحاصلات الزراعية الرئيسية في العامين الزراعيين السابقين ٦٧ و ٦٨ زيادة مضطردة، بالمقابلة بالموسم السابق عام ١٩٦٦، وكانت هذه الزيادة بارزة في العام الزراعي الأخير ١٩٦٨، وقد أدى ذلك إلى إمكان زيادة المتاح من التصدير من بعض هذه الحاصلات زيادة كبيرة، إلى جانب توفير قدر مناسب منها لحاجة الاستهلاك المحلي.

الإنتاج الزراعي عام ٦٨:

يتميز عام ٦٨ بارتفاع في إنتاجية القطن، وتدل التقارير حتى الآن على أن المحصول سيكون مماثلاً لمحصول الموسم السابق، على الرغم من نقص المساحة بنحو ١٦٢ ألف فدان، وبقيمة تقدر بحوالي ٨,٦٢٠,٠٠٠ قنطار قطن شعر، كما سجل محصول الأرز رقماً قياسياً لم يسبق أن حصلنا عليه في تاريخ

زراعتنا للأرز؛ وذلك بزيادة في الإنتاج تقدر بحوالى ٣٠٥ آلاف طن عن العلم الماضى، ونحو ٩٠٥ آلاف طن عن عام ١٩٦٦، وجاءت هذه الزيادة نتيجة للتوسع فى مساحته على مياه السد العالى إلى جانب تحسين متوسط إنتاجه، ويترتب على ذلك زيادة المتاحة من كميات الأرز للاستهلاك المحلى أو للتصدير للخارج.

ولقد زاد أيضاً إنتاج القمح فى موسم ٦٨ لأكثر من ١,٥ مليون أردب عن الموسم السابق.

كذلك زاد إنتاج الذرة الشامية الصيفية عام ٦٨ عنها فى عام ٦٧، ولمس الفلاحون عامة، العام الماضى وهذا العام، المحافظة على سعر الذرة بسعر مناسب مع توافره بالأسواق، وأن سياسة الدولة واضحة فى هذه النقطة بوجوب توفير الذرة بكميات كبيرة وبسعر مناسب للفلاحين، وهو الأمر الذى تحقق فى السنتين الأخيرتين.

كذلك زاد إنتاج الفول السودانى والسمسم عن العام الماضى بنسب تتراوح بين ١٤ و ٣٢%.

أهمية الزراعة فى بلادنا معروفة، وكان لابد من هذا الاستعراض لما للزراعة من أهمية كبيرة فى بلادنا، وللدور الهام الذى تلعبه فى اقتصاديات البلاد، بل وفى رسم سياستها الإنتاجية بصفة عامة.

وتستهدف السياسة الزراعية الآن ثلاثة معالم رئيسية هى: زيادة الإنتاج الزراعى، ومصلحة الفلاحين، والعمل على رفع مستوى المشتغلين بالزراعة.

فيما يختص بالأولى: العمل دائماً على زيادة إنتاج المحاصيل، ولن نتمكن من ذلك إلا بالارتكاز على الوسائل العلمية والتطورات التكنولوجية التى تأخذ مجراها فى كثير من بلاد العالم، فالمحافظة على خصوبة الأرض هى أساس لزيادة إنتاجيتها؛ لذلك فإن وزارة الزراعة تتبنى مشروعات تحسين الأراضى كنوانة، تستكمل فى صورة مشروعات كبيرة فى الخطة القادمة، ذلك مع عدم

إهمال توافر عناصر الإنتاج الأخرى المتعلقة بالبذور والسماد ومقومات الإنتاج العالى الأخرى.

والعنصر الثانى: أن الدولة لا ترى تناقضاً بينها وبين مصالح الفلاحين، بل ترى أن ما يحقق صالح الفلاحين هو بالضرورة مؤدٍ إلى زيادة الإنتاج القومى. وفى هذه السبيل فقد اتجهت الدولة إلى رفع سعر القطن فى العام الماضى وهذا العام؛ تشجيعاً للزراع على التوسع فى زراعة القطن والمحافظة على مساحته فى حدود الدورة الزراعية المناسبة، وتلبية طلبات التسويق الخارجى. وتحملت الدولة فى هذا العام فقط ٨ ملايين من الجنيهاً، أضيفت إلى عائد الفلاحين.

وعلى هذا السبيل أيضاً فإن تكاليف المقاومة فى العام الأخير - على الرغم من اشتداد الإصابة فيه - انخفضت عن عام ٦٦ انخفاضاً بلغ حوالى جنيهاً للفدان الواحد، كما انخفضت تكاليف المقاومة الكيماوية من ١٨ مليون جنيه سنة ٦٦ إلى ٧ ملايين جنيه سنة ٦٨.

أما العنصر الثالث، فهو العمل على رفع مستوى المشتغلين بالزراعة مع شعورهم الكامل بالاستقرار والطمأنينة. وفى هذا المجال فإننى أشعر أنه مازالت هناك مشكلات تستحق اهتمامكم واهتمام المشتغلين بالعمل الزراعى، وأن تلك المشكلات تستوجب وضع الحلول المناسبة لها، والتي تؤدى إلى تمهيد الطريق نحو إنتاج أوفر، وإلى إزالة بعض المتاعب التى تواجه الفلاحين، وهم الدعامة الكبيرة فى تحالف قوى الشعب العاملة.

وفى مجال السد العالى والكهرباء، فإنه فى هذه الأيام يبرز مشروع السد العالى فى أسوان متجسداً بصورته الكاملة حقيقة ضخمة مشرقة بأوسع الآمال، ولن يمر الشهر المقبل حتى تتم جميع أعمال البناء بالسد الرئيسى، ولا تبقى سوى لمسات أخيرة تستكمل خلال عام ١٩٦٩.

أما محطة الكهرباء، فلقد تم تشغيل ٦ وحدات كهربائية منها حتى الآن، وسيتم تشغيل أربع وحدات أخرى خلال عام ١٩٦٩، أما الودعتان الأخيرتان فسيتم تشغيلهما بعد ذلك بشهور.

وبالنسبة للشبكة الموحدة للجمهورية، فقد تم الجانب الأكبر من الخطوط ومحطات المحولات، وسيتم تركيب الدائرة الثانية للخط ٥٠٠ كيلو/فولت بين أسوان والقاهرة في نهاية الشهر المقبل.

ولقد بلغ المخزون من المياه وراء السد ٤١ مليار متر مكعب في عام ١٩٦٧، وكان من الممكن تخزين ٩٠ مليار متر مكعب عام ١٩٦٨، فيما لو جاء الفيضان في العام الماضي عالياً، ولقد بلغت الطاقة المولدة من محطة السد العالي في عام ٦٨ (١٥٠٠) مليون كيلو وات/ساعة، وتقدر الزيادة في الدخل القومي من إنشاء السد العالي هذا العام ٨٠ مليون جنيه.

وإنه لمن الواجب أن نوجه التحية إلى بناء السد الذين واصلوا جهودهم خلال السنين الماضية كأحسن ما يكون الجهد، حتى أصبح السد العالي حقيقة ستظل خلال الأجيال القادمة مفخرة من أعظم مفاخر الشعب العربى.

وستتم الاستفادة بالخبرات الكبرى التى توافرت لهيئة السد العالي بالمشاركة فى المشروعات الإنشائية الكبرى، كمجمع الحديد والصلب وأنفاق القاهرة، وغيرها من مشروعات الرى والصرف.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

لقد عرضت عليكم بعض الجوانب مما تم فى ميادين الصناعة والكهرباء والزراعة كنماذج لجهد كبير يجرى فى ظروف المعركة، وهناك مسائل كبرى - غير ما ذكرت - مطروحة الآن أمام مجلس الوزراء، أو فى التنفيذ الفعلى، وأرجو أن يكون ما يتصل منها بعمل هذا المجلس أمامه فى أقرب فرصة، وأشير إلى بعض هذه المسائل الكبرى فيما يلى:

وضع خطوط جريئة ومستتيرة لعملية الإصلاح المالى والاقتصادى؛ حتى يمكن تحرير كل طاقات الإنتاج من أية عوائق تواجهها، وحتى يمكن أيضاً رفع وصاية الروتين التقليدى، الذى يريد إحكام قبضته على القطاع العام، وهو القوة الطليعية فى طاقتنا الإنتاجية، ثم ضبط سياسة الأسعار، ثم البت فى مسألة الأراضى الجديدة التى تم إصلاحها، ثم إعادة تنظيم العمل فى قطاع التجارة الخارجية، ثم تحقيق تحسن ملموس فى بعض نواحي الخدمات المتصلة اتصالاً مباشراً بعملية الإنتاج، وفى مقدمتها الإسكان والمواصلات.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

على أن هناك دوراً هائلاً يستطيع مجلسكم الموقر أن يقوم به فى بداية مهمته، وذلك إلى جانب دوره التشريعى المتصل؛ إنكم طوال فترة الانتخابات عايشتم جماهير قوى الشعب العاملة، وكنتم الأقرب اتصالاً بمشاكلها ومطالبها الملحة فى الخدمات؛ وإذا فإن هذا المجلس الموقر يستطيع أن يطرق ومازال الحديد بعد ساخناً، وأعنى بذلك أن مجلسكم الموقر يستطيع على الفور أن يقدم صورة متكاملة لما تريده الآن جماهير الشعب، فيما يتصل بالخدمات أو مشاكل الحياة اليومية.

ولقد جرى التقليد فى مجالسنا النيابية دائماً أن يبدأ العمل بتقرير من السلطة التنفيذية بما تنويه من أعمال ومشروعات، ويخطر لى أنه قد يكون مناسباً هذه المرة أن نمارس تجربة من نوع آخر، فبدأ مجلسكم الموقر بتقرير عما استشعره أعضاؤه خلال اتصالهم الوثيق بالجماهير فى فترة الانتخابات، على أنى أريد فى صدد هذا الاقتراح أن أحدد بعض النقاط على النحو التالى:

أولاً: أن يكون فى الاعتبار - طول الوقت - عبء المعركة على ميزانية الدولة، وهو عبء له أسبقية على كل ما عداه، وإن كنت أعتقد أن هناك كثيراً وكثيراً جداً من الأمور، يمكن تحقيق ما هو مطلوب فيها

بتكاليف قليلة، أو بغير تكاليف على الإطلاق إذا لقيت عناية واعية وانتباهاً حقيقياً.

ثانياً: أن يكون عملكم في كل ما تقترحونه تعاوناً مع الوزراء كل في اختصاصه، ولا بد أن يكون واضحاً أمامنا أنه ليس هناك تناقض بين الوزير وبين عضو مجلس الأمة، وقد يكون بينهما حوار، بل ولا بد أن يقوم مثل هذا الحوار، ولكن التناقض لا محل له.

وأريد أمام حضراتكم أن أقول كلمة عن زملاء لي في الوزارة؛ تلك هي أن الوزير هو أكثر العاملين في وزارته.. إن هذه المجموعة من الرجال، الذين يتحملون نصيبهم معي في مسئولية العمل الوطني من خيرة رجال وشباب هذا الوطن، ولقد تحملوا بأعباء تزيد عن الطاقة الإنسانية أحياناً، وأثق أن ذلك سوف يكون موضع تقدير منكم لصالح الجهد المشترك لمجلس الأمة وللوزراء؛ من أجل حل مشاكل الجماهير.

لقد قلت - وأقول دائماً - إن القيادة هي حل مشاكل الجماهير، ولا نستطيع أن نحل مشاكل الجماهير إلا إذا عرفنا وحددنا هذه المشاكل، ولا سبيل إلى هذا التحديد إلا بتعاون وثيق بين أعضاء هذا المجلس وبين الوزراء.

وأريد أن يكون واضحاً أمامكم أن هذا فضلاً عن قيمته الإيجابية، هو من ناحية أخرى الرد الصحيح على الجزء الأكبر من محاولات الثورة المضادة، وينبغي أن نحلل هنا ما تفعله الثورة المضادة. إن قوى الثورة المضادة - شأنها في ذلك شأن قوى الثورة - تحاول أن تتوجه إلى الجماهير، وفي حين أن قوى الثورة تتوجه إلى الجماهير مباشرة - لإحساسها بالانتماء الأصيل لها - فإن قوى الثورة المضادة تحاول أن تلف من حول الجماهير؛ لكي تخدعها ولو حتى ضد أهداف هذه الجماهير الأصيلة، وسبيل الثورة المضادة إلى ذلك سبيل واحد هو الوقوف أمام المشاكل وتجسيم هذه المشاكل، واستعمال ضيق الجماهير بها لكي يكون رصيذاً احتياطياً لقوتها.

وإذا لم تستطع قوى الثورة الأصيلة أن تسبق إلى تحديد المشاكل وإلى حلها، فإنها لا تتخلى بذلك عن واجبها فحسب؛ وإنما هي أيضاً تتخلى عن جماهيرها وتتركها لتأثيرات قوى الثورة المضادة. لكنى كنت ومازلت عزوفاً عن إعطاء قوى الثورة المضادة فى الداخل أكثر مما تستحق، إن قوى الثورة المضادة فى داخل الوطن ضعيفة أمام إجماع الجماهير وأمام وعيها، ولكن أخطاء الثورة وقصورها فى بعض الأحيان هو الذى يعطيها - تبرعاً وبغير سبب - أنفاساً إضافية تنفث من خلالها سمومها.

إن قوى الثورة المضادة الحقيقية التى تتربص بنا هي قوى الاستعمار، وهى القوى الرأسمالية والاحتكارية التى تحلم بالسيطرة علينا، وهى إسرائيل التى تقوم بدور الأداة لهذه القوى.

أما فى الداخل فإن وحدة شعبنا أثبتت أكثر من مرة، وأكدت فى كل مناسبة أنها قلعة الصمود، وأنها الحصن الحصين للأمل الوطنى.

إن التحديات كلها أثبتت صلابة موقف قوى الشعب العاملة وتصميمها وحسمها. إن فلاحينا فى الحقول كانوا فى خدمة الصمود، وكان عمالنا فى المصانع وفى الخدمات سنداً هائلاً وراء المواجهة المصيرية، كما أن الشباب فى هذا الوطن لم يترك لأحد أن يحدد له موقفه برغم كل المحاولات، وإنما حدد هو بوعيه موقفه وسط قوى النضال الوطنى والقوى المقدرة لتبغات المصير، والمحتلمة - فى شجاعة - لنصيبها منه.

أيها الإخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة:

إننا سوف نظل دائماً تحت نفس الأعلام التى وقف تحتها نضالنا الوطنى والقومى، مهما حاولت قوى الاستعمار، ومهما حاولت قوى الاستغلال، ومهما حاولت إسرائيل أداة هذه القوى كلها.. سوف نظل دائماً تحت علم التحرير، وسوف نظل دائماً تحت علم الاستقلال الوطنى، وسوف نظل دائماً تحت علم الوحدة العربية، وسوف نظل دائماً تحت علم الاشتراكية، وسوف نظل دائماً

تحت علم عدم الانحياز، وسوف نظل دائماً تحت أعلام الحرية البانية للتقدم والسلام، القائم على العدل لشعبنا ولكل شعوب الأرض.

أيها الإخوة المواطنون:

وبعون الله وبإذنه.. فلسوف نتتصر أعلامنا.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٦٩/١/٢٥

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

فى المؤتمر العالمى الثانى
لنصرة الشعوب العربية فى القاهرة

■ أيتها الإخوة:

أرحب بكم فى القاهرة التى اخترتموها عاصمة لمؤتمركم، الذى تتأديتم به من أجل نصرة الشعوب العربية، واثقا ثقة كاملة أنه سوف يكون دعما معنويا له قيمته، بالنسبة لأمة تخوض الآن معركة من أقسى معاركها، فى مواجهة نوع من أكثر أنواع الاستعمار ضراوة وحماقة.

وأعرف - أيتها الأصدقاء - أنكم تعلمون من حقائق الصراع الذى تخوضه أمتنا العربية - مثلما نعلم - وإن هذا العلم كان دافعكم للقدوم إلى هنا والوقوف بجوارنا تأييدا لنضال أمتنا وانتصارا لحقوقها المشروعة. ولكننا مع ذلك - أيتها الأصدقاء - نتمنى أن تكون فرصة اجتماعكم مناسبة لإلقاء أضواء أوسع أمام الرأى العام العالمى الواسع عن بعض الجوانب الهامة فى هذا الصراع؛ بحيث تعرف الشعوب القريبة والبعيدة بأن الأزمة التى نواجهها تمس ما هو أكثر من مجرد أمننا الذى يهدده العدوان، وأرضنا التى وقعت أجزاء منها تحت احتلاله.

ونتمنى - أيتها الأصدقاء - أن تطرحوا بعضا من الأسئلة الخطيرة المتصلة بالصراع الذى نخوضه، وأن تبحثوا معنا - وبمنتهى التجرد - عن إجابات

دقيقة لها، ثم نتمنى أن تكون هذه الإجابات - وعلى أوسع نطاق ممكن - أمام
الرأى العام العالمى، خصوصاً فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

هل يعقل أن تتخذ أساطير ما قبل آلاف السنين أساساً وادعاءً لعملية غزو
مسلح، تطرد من قلب الأرض العربية شعباً بأكمله هو شعب فلسطين، وتهدد
بنفس المصير شعوباً أخرى تقع بين النيل والفرات؛ حيث تدعى إسرائيل بملكها
الموعد؟ هل الخرافات والدعاوى الأسطورية هى السبب؟ أو أن السبب هو
الاستعمار الذى يريد أن يسيطر على منطقة، من أهم المناطق فى العالم
استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً، ومن ثم فهو يقطع امتدادها؛ لفرض وجود غريب
فى قلبها، يحول دون وحدتها ويتخذ قاعدة مستمرة لتهديدها؟

ما هى العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين القوى العالمية المسيطرة
والراغبة فى السيطرة؛ ابتداء من ألمانيا القيصرية، وبريطانيا الاستعمارية
والولايات المتحدة الأمريكية، بالنزعات الإمبريالية التى طبعت سياستها، والنسبة
تمثل حرب فيتنام نموذجاً دامياً من نماذجها؟

هل عرف فى التاريخ العربى فى يوم من الأيام عداً للسامية، أو اضطهاد
للإهود، أو أن اليهود لم يعرفوا التسامح معهم فى تاريخهم كله أكثر مما عرفوه
على الأرض العربية؟ بل هل كان العرب من أكثر الشعوب تعاطفاً مع اليهود
فيما عانوه من اضطهاد العنصرية النازية وأساليبها؟ ويصبح السؤال المتصل
بذلك مباشرة هو: هل يتحتم على العرب أن يتحملوا هم تبعية الاضطهاد النازى
للإهود، فيدفعون وطناً من أوطانهم ثمناً لذلك؟ ثم أن تستعير العنصرية
الصهيونية من العنصرية النازية كل منطقها وكل أساليبها، وهل لا يكون فى
مقدور الإنسان إلا أن يتعلم من جلاديه؛ فيصبح صورة أسوأ لهم وتكراراً مشيناً
لهم فكراً وعملاً؟ هل كان العرب هم البادئين بالعدوان مرة فى تاريخهم؟ هل
بدأوا بالعدوان سنة ١٩٤٨؟.. هل بدأوا بالعدوان سنة ١٩٥٦، وتواطؤوا فيه مع
نول كبرى؟ وهل بدأوا به سنة ١٩٦٧؟!

هل حدث فى أى مشكلة دولية وصلت إلى حد القتال المسلح أن أصدرت الأمم المتحدة قراراً بوقف إطلاق النار، دون أن تنص فيه على عودة القوات المتحاربة إلى المواقع التى كانت فيها قبله؟! وإذا كان ذلك فلماذا حدث بالنسبة لنا؟ هل حدث فى العالم من قبل أن وقف المعتدى يمثل دور المعتدى عليه، وداعية الإرهاب العسكرى يمثل دور طالب الأمن المهدد فى وجوده؟ هل حدث من قبل أن استهترت دولة بقرارات الأمم المتحدة وبمجلس الأمن التابع لها، وبمبادئ القانون الدولى بمثل ما فعلت إسرائيل؟! وهل كان ذلك يقبل من جانب أى طرف من الأطراف فى عالمنا المعاصر؟ وإن كان ذلك فلماذا يقبل من إسرائيل؟ هل حدث من قبل أن أصبح الذين ينادون بتحرير أوطانهم من احتلال أجنبى وقع عليها؛ فى صورة من يرفض السلام، ويهدد النظام الدولى المستقر؟! وإننا نقول بالتزامنا بتحرير أرضنا، وتعتبر إسرائيل ذلك بمثابة إعلان للحرب، ونقول بالتزامنا باستعادة حقوقنا، وتعتبر إسرائيل ذلك عدواناً من جانبنا لا يحتمل.

أيها الأصدقاء:

هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة غيرها نتمنى أن تطرحوها للبحث، وأن تجيبوا عليها وأن تسألونا فيها، ثم أن يسمع منكم العالم على أوسع نطاق لمحمة من الحقيقة التى نعانى الآن منها أكثر من غيرها فى أزمة الشرق الأوسط.

إن هذه الأزمة تواجه بين أخطر ما تواجه مؤامرة تشويه تمسخ الصورة وتعكس ألوانها، أو مؤامرة صمت فى أحسن الأحوال، تحاول أن تقيم سداً منيعاً، لا يستطيع أن ينفذ منه شعاع ضوء، ونحن نعلم أن الحقيقة لها أصدقاء فى العالم، وأن أصدقاء الحقيقة على استعداد للعمل من أجلها، وفى هذه القاعة بهذا الجمع الممتاز من حضورها شاهد على ذلك لا تخطئ دلالتة.

لكن الأمور تقتضى جهوداً أوسع، وعملاً يمتد على جبهة عريضة؛ ذلك أن أكثر ما هو لازم الآن للقضية التى تناديتم لنصرتها هو أن يظهر وجه الحقيقة،

وأن تبين جميع تفاصيلها، وأن يتاح لكل ذوى النوايا الطيبة فى عالمنا أن يحددوا مواقفهم منها على هدى وعلى نور.

إن أعداء الحقيقة يملكون وسائل مخيفة يعملون بها، كما يملكون أجهزة ضخمة تستطيع خدمتهم فى ذلك، وتسخر لهذه المهمة أحدث ما وصل إليه العلم الحديث من الوسائل المادية والنفسية، لكن الحقيقة فى النهاية تنتصر بأصدقائها والمؤمنين بها، والذين يستطيعون أن يحملوا رسالتها إلى الآفاق الممتدة.

أيها الأصدقاء:

إننا نقدر كل التقدير مجيئكم إلى وطننا لعقد هذا المؤتمر، ونشعر بالاعتزاز لكل المشاعر التى تحرك جهودكم، ونؤمن واثقين أن هذه الجهود سوف تكون من أكبر القوى الدافعة للحقيقة. وفقكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٦٩/١/٢٩

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر العمال العرب الرابع بالقاهرة

■ أيتها الإخوة:

يسعدنى باسم هذا المجتمع المصرى الذى تبنيه قوى الشعب العاملة، وفى الطليعة منها الفلاحون والعمال، أن أرحب بممثلى الحركة العمالية العظيمة، التى هى الآن من أقوى التيارات القائدة للتقدم العالمى، وإنى لأتوجه بالشكر للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب، الذى أتاح لنا بمؤتمره الرابع الفرصة للقاء هذه الجماعة الممتازة من ممثلى الحركة العمالية العالمية، والحديث معهم وتبادل الرأى وإياهم فى كثير من القضايا المشتركة.

وفى الحقيقة - أيتها الإخوة - فإنكم إذا كنتم تزورون وطن الأمة العربية فى وقت أزمة من أشد أزمتها، وفى ظرف اختبار مصيرى، فإن موضوع الصراع الأسمى وراء هذه الأزمة ليس بعيداً على الإطلاق عن القضايا المشتركة التى تشد اهتمامنا معاً، إن الأرضية الأصلية وراء الصراع العربى - الإسرائيلى، هى فى الواقع - وعلى وجه الدقة - أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى، وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الاستغلال. وفيما مضى فلقد كان سلاح الاستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق، وبعد حربين عالميتين ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية، فلقد لجأ الاستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق، وكان أن

استغل في ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة الصهيونية، وهكذا سلم وطن من أوطان الأمة العربية غنيمة مستباحة للعنصرية الصهيونية المدججة بالسلاح؛ لكي يتم تكريس تمزيق الأمة العربية، ولتحقق تخويفها باستمرار، عن طريق إيجاد قاعدة في قلبها لتهديدها، فضلاً عما يتبع ذلك من استنزاف كل إمكانيات القوة العربية في صراع محكوم فيه تاريخياً.

ولقد زاد من حدة التناقض بين الأمة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية، بقيادة الفلاحين والعمال العرب؛ الأمر الذي دفع الاستعمار إلى مغامرات عنيفة ومخيفة، عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦ بالعدوان المشهور ضد مصر، والذي عرف فيما بعد بحرب السويس، ثم عبرت عن نفسها مرة ثانية، سنة ١٩٦٧، التي عرفت فيما بعد بحرب الأيام الستة، التي هي في الحقيقة مقدمة حرب لم تنته حتى الآن. وبرغم كل المحاولات التي بذلتها القوى المحبة للحرية والسلام، فإن هذه الحرب مازالت معلقة، ومازال خطر الداهم يحيق بأفاق الشرق الأوسط، والسبب أن قوى الاستعمار وعملاءها لا تريد الحرية ولا تريد السلام، بل وهي لا تفهم حتى مجرد المعنى الحقيقي للحرية والسلام، وبالنسبة لها فإن الحرية تعنى السيطرة، وبالنسبة لها فإن السلام الذي تريده هو في الحقيقة الاستسلام لمخططاتها ومؤامراتها.

إن الأمة العربية لم تغتصب وطناً لشعب آخر، وإنما كان وطن أحد شعوبها، وهو شعب فلسطين هو الذي تعرض للاغتصاب، والأمة العربية لم تحتل بالقوة المسلحة وبالعدوان أرضاً لدولة أخرى، وإنما توجد الآن أراض من ثلاث دول عربية، أعضاء في الأمم المتحدة، تحت الاحتلال العسكري لإسرائيل المدعومة بقوى الاستعمار. والأمة العربية احتفظت طوال تاريخها بعلاقات إنسانية حرة مبرأة من كل شوائب الاستغلال والعنصرية مع كل الأجناس والأديان - بما في ذلك اليهود بطبيعة الحال - ومع ذلك فإن العرب الآن تحت الاحتلال الإسرائيلي العنصري، مواطنون من الدرجة الثانية، في وطنهم الواقع تحت الإرغام والإكراه.

هذه هي أرضية الصراع العربى - الإسرائيلى، التى هى فى الواقع أرضية التناقض بين آمال الأمة العربية وحقوقها المشروعة، وأطماع الاستعمار ومخططاته ومؤامراته. أما مضاعفات هذا الصراع نفسه فإنها - أيها الإخوة - ليست بعيدة عنكم ولا عن فكركم، ولا حتى عن تجاربكم فيما تعرفونه من القارات التى جئتم منها جميعاً، ومن الغريب - أيها الإخوة - أن ما تواجهه الأمة العربية اليوم، يحمل بصمات أصابع مجرمة، تعرفها كل القوى التقدمية، وتستطيع تمييزها وتعرف كيف تحكم عليها.

إن إخوتنا من أوروبا يعرفون نوع التعالى العنصرى؛ سواء قامت دعوى العنصرية على أساس اللون أو الدين، ولقد عانت أوروبا من عنصرية النازى ما عانت، وما زال كثير منه مذكوراً لا ينسى، وإخوتنا من إفريقيا يعرفون استعمار الاستيطان، حيث يستباح وطن شعب من الشعوب للقادمين وراء الدعاوى المختلفة، يقيمون المستعمرات بقصد الاستغلال، ثم يحولون هذه المستعمرات إلى قلاع مسلحة، يخضعون بها الشعب الذى وفدوا إلى أرضه، ويهددون منها شعوباً أخرى تحيط بهذا الوطن، وتشعر أنها متصلة بشعبه، بروابط الأخوة المشتركة، مهددة مثله بنفس المصير إذا لم تتنبه وتقاوم.

أيها الإخوة:

إننا نعتبر مجيء هذه الجماعة الممتازة من ممثلى الحركة العمالية العالمية إلى وطننا فى هذه الظروف تأييداً واضحاً لإيماننا بوحدة النضال ضد الاستعمار وأدواته، وضد الاستغلال ومحاولاته، وهذا التأييد مبعث اعتزاز كبير لأمتنا العربية، كما أنه مصدر عون لها فيما تؤمن به من رسالة السلام، القائم على العدل والتقدم، والمتبرئ من الاستغلال بكل صوره.

أيها الإخوة.. أكرر الشكر لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله